تلون أبي الحسن في قضية أخبار الآحاد وادعاءاته الأخيرة الباطلة بأنه يقول: إن أخبار الآحاد تفيد العلم إذا حفتها القرائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد كنت نشرت مقالات في نصرة سنة رسول الله والذب عنها ودفع شبهات كثيرة جلب بها أبو الحسن المأربي على أخبار الآحاد الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيداً بهذه الشبه مذاهب أهل الضلال من المعتزلة والخوارج والروافض، فعل هذه الأفاعيل في كتابه "إتحاف النبيل".

وفي الوقت نفسه أخفى حجج وبراهين أهل السنة وإجماعهم على أن أخبار الآحاد المحتفة بالقرائن المتلقاة بالقبول تفيد العلم وشوش على أحاديث الصحيحين المحتفة بالقرائن التي تفيد العلم، وشوش على هذه القرائن التي ذكرها أهل العلم وقال: إنه لا يلزم منها القطع.

فماذا فعل أبو الحسن وأصحابه في مواجهة هذا المقال:

ذهبوا يردون عليه بأن المسألة خلافية وليست من الأصول ولا يعقد عليها الولاء والبراء.

وذهبوا ينسبون إلى بعض كبار علماء السنة موافقة أبي الحسن في أن أخبار الآحاد تفيد الظن، كابن باز والألباني وابن عثيمين والشنقيطي، وارتكبوا الأفاعيل الشنيعة في حق هؤلاء:

منها: إغفال حجج الألباني لنصرة مذهب أهل السنة ودحض أباطيل أهل الأهواء في كتابين له مشهورين، وذهبوا إلى جواب سؤال وجهه إليه أبو الحسن الذي يركض بفتنة التشويش على أخبار الآحاد، ومع أن الجواب يحمل في طياته ما يدحض تلبيسهم إلا أنهم تجرؤا على إيهام الناس أن الألباني مع أبي الحسن وعلى مذهبه، وشتان وشتان بين الرجلين والمذهبين.

ومنها: إيهام الناس أن العلامة ابن باز يوافق أبا الحسن في أن أخبار الآحاد تفيد الظن معتمدين على نقله لكلام النووي الصريح في أن أخبار الآحاد تفيد الظن بما في ذلك أخبار الصحيحين، هذا الكلام نقله ابن باز لغرض مهم وهو أن أخبار الآحاد توجب العمل لأنه يرد على مبتدع يرى أن أخبار الآحاد لا توجب العمل.

اقتصروا على نقل هذا الكلام عن الشيخ ابن باز وأخفوا ما نقله الشيخ عن ابن القيم في عشر صحائف ضمنها ابن القيم الحجج والبراهين على أن أخبار الآحاد تفيد العلم ونقله عنه ابن باز للرد على شبهات أهل الضلال الذين يقولون إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن.

ومنها: نقلهم لكلام ابن عثيمين حول أخبار الآحاد الذي ضمنه ما يفيد أن أخبار الآحاد المحتفة بالقرائن تفيد العلم، لكنهم أوهموا الناس أن ابن عثيمين يقول بأن أخبار الآحاد تفيد الظن.

وما لقي هذا التلاعب والتلبيس من أبي الحسن إلا التأييد والتباهي بالردود على الشيخ ربيع.

ثم اضطر أبو الحسن وأصحابه إلى تغيير لباسهم متظاهرين بأن أخبار الآحاد المحتفة بالقرائن تفيد العلم، وأن أبا الحسن قرر هذا في كتابه "إتحاف النبيل"، وذلك الكتاب الذي لا يزال أبو الحسن يعتز به.

وأنا أسأل أبا الحسن وأصحابه:

لماذا جلب أبو الحسن بتلك الشبه الغليظة التي تنصر أهل البدع؟!

ولماذا خذل أهل السنة بإخفاء حججهم وبراهينهم؟!

ونقول لو كان أبو الحسن صادقاً فيما يدعيه الآن من أن أخبار الآحاد الصحيحة المحتفة بالقرائن تفيد العلم لساق حجج وبراهين أهل السنة وإجماعهم على أن أخبار الآحاد الصحيحة المحتفة بالقرائن تفيد العلم في كتابه "إتحاف النبيل"، كما جرى على ذلك أعلام السنة وكما هو مقتضى العقل والفطرة والعادات البشرية من أن من يؤمن بمذهب أو فكرة فإنما يكرس جهوده في حشد الأدلة التي تنصر مذهبه أو فكرته، ويكر على حجج الخصوم وشبههم بالرد والهدم.

لو كان أبو الحسن يؤمن حينذاك بأن أخبار الآحاد المحتفة بالقرائن تفيد العلم لحشد أدلة أهل السنة وحججهم لنصرة مذهبهم الحق ولدحض أباطيل أهل البدع وشبهاتهم، هذا ما يقتضيه العقل والفطرة والعادات البشرية.

وما أشبه حال أبي الحسن بحال الجاحظ حيث افتخر به وبمصنفاته عبدالله بن أحمد الكعبي[1] زعيم الكعبية من المعتزلة، فكشف أبو منصور البغدادي زيف هذه الدعاوى التي أُضْفِيت على الجاحظ ومصنفاته، فقال في كتابه الفرق بين الفرق (ص١٦١-١٦٢) :

" وقد افتخر الكعبي بالجاحظ وزعم أنه من شيوخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه الكثيرة وزعم أنه كناني من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

فيقال له إن كان كنانياً كما زعمت فلم صنفت[2] كتاب " مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية " ؟ وإن كان عربياً فلم صنف كتاب " فضل الموالي على

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي شيخ من شيوخ المعتزلة كان رأساً لطائفة منهم سموها الكعبية نسبةً إليه توفي سنة (٣١٩) [انظر ترجمته في: العبر (١٧٦/٢) وشذرات الذهب (٢٨١/٢)].

(٢) كذا في الأصل، والظاهر أن الصواب صنف.

العرب " ؟ [1] وقد ذكر في كتابه المسمى " مفاخر قحطان على عدنان " أشعاراً كثيرة من هجاء القحطانية للعدنانية ومن رضى بهجو آبائه كمن هجا أباه.

وقد أحسن جحظة في هجاء ابن بسام الذي هجا أباه فقال :

من كان يهجو أباه فهجوه قد كفاه

لو أنه من أبيه ما كان يهجو أباه.

وأما كتبه المزخرفة فأصناف : منها كتاب في حيل اللصوص وقد علَّم بها الفسقة وجوه السرقة[2].

---

(١) يقال لأبي الحسن : لو كنت تؤمن بأن أخبار الآحاد – حتى المحتفة بالقرائن – تفيد العلم فلماذا حشدت خمس عشرة شبهة لأهل البدع على أخبار الآحاد النبوية ؟ ولماذا تعمدت كتمان حجج أهل السنة وهي تزيد على العشرات من الكتاب والسنة على أن أخبار الآحاد تفيد العلم فما أشبه دعاواك ودعاوى حزبك بدعاوى الكعبي، وما أشبه انتماءك إلى أهل السنة بانتساب الجاحظ إلى العرب بل إلى الكنانية والعدنانية.

(٢) إن عملك هذا –أي حشد الشبه على أخبار الآحاد– ليشبه عمل الجاحظ الذي يفاخر به الكعبي والذي يعلم الفساق طرق السرقات، والتجار طرق الغش والخداع، وأنت تعلم الروافض والخوارج والمعتزلة وأشباههم كيف يقذفون بالشبه لأتباعهم من أهل الضلال فيزيدونهم ضلالاً وشكاً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزيدون حرباً لأهل السنة الذين يعظمون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويربأون بها عن الظنون والشكوك والأوهام.

ولأبي الحسن نظائر من هذه التلونات قد بينت بعضها، مثل : تلونه في قضية من يكفر الصحابة أو يفسقهم، وتراجعاته فيها ثم ينتهي به المطاف إلى الادعاء بأنه هو الموافق لشيخ الإسلام ابن تيمية وأن من انتقده في تخبطاته هو المخالف لشيخ الإسلام.

وكتلونه في موضوع التثبت وموضوع المنهج الواسع حيث ادعى فيهما خلاف واقعه وما يسير عليه أمام علماء المدينة.

فما أكثر تلونه وتقلباته وبأمثاله ينكب الإسلام والمسلمون، ولقد – والله – نكبت به الدعوة السلفية ومزق أهلها في كل مكان بتأصيلاته الفاسدة وتلبيساته الماكرة وفتنته الهائجة.

وإني أكرر تحذيري الجاد من سماع أشرطته وقراءة ما انتقدناه من كتبه كالسراج الوهاج، وإتحاف النبيل، وفق الله الجميع لسلوك مناهج الحق واتباع الهدى إن ربنا لسميع الدعاء.

ومنها كتابه في " غش الصناعات " وقد أفسد به على التجار سلعهم، ومنها كتابه في "النواميس " وهو ذريعة للمحتالين يجتلبون بها ودائع الناس وأموالهم
ومنها كتابه في " الفتيا" وهو مشحون بطعن أستاذه النظام على أعلام الصحابة.

كتبه

الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ١٦/شعبان/١٤٢٣هـ